مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 13، العدد 4، (السداسي الثاني 2021م)، ص. 257- 274

نوازل الجواهر النّفيسة للتُّسُوليّ (ت.1258هـ) مصدرا للكتابة التَّاريخية الجزائريَّة

Nawazil Aljawahir alnnafissa , by Altossouly(IH1258) , a source of Algerian historical writing

رابح بوخاري*[1]، أ.د. نصيرة دهينة[2]
[1] جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة، r.boukhari@univ-alger.dz
[2] جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة، n.dehina@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام : 2021/06/14 تاريخ القبول : 2021/09/27 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص :

تَناولتُ في هذا المقالِ علاقةَ الكتابة التّاريخيّة الجزائريّة بمدونات النوازل الفقهيّة، وكيفيّة استخدام مادّة فقه النّوازل في الدّرس التّاريخيّ، وذلك من خلال مخطوط "الجواهر النّفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة" للفقيه عليّ بن عبد السلام التسوليّ (ت.1258هـ)، ولتكون الدّراسةُ متّصلةً بالتّاريخ الجزائريّ الحديث، فقد اعتمدتُّ على خصوص النّوازل المتعلقة بالوجود الاستعماريّ على أرض الجزائر.

وقد قسّمت البحثَ إلى مقدّمةٍ وثلاثة مباحثَ وخاتمة، فالمبحثُ الأوّل خصصته للحديثِ عن مفهوم فقه النوازل وعلاقته بالكتابة التاريخيّة، والمبحث الثّاني عرفت فيه بالفقيه التسوليّ وبكتابه الجواهر النّفيسة، والمبحث الثّالث تكلمتُ فيه عن القراءة الفقهية والتاريخية للنوازل المتعلقة بالوجود الاستعماري على أرض الجزائر، وذكرت في الخاتمة مهمّات النتائج مع التوصيات .

الكلمات المفتاحية : الكتابة التاريخية؛ النّوازل الفقهية؛ الاستعمار الفرنسي؛ الجواهر النّفيسة؛ التسوليّ .

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات

Abstract:
In this article, I dealt with the relationship of Algerian historical writing with blogs annawazil alfiqhiya ,and how to use The subject of annawazil alfikhiya in the historical lesson ،And that is through the manuscript of " aljawahir annafissa fi ma yatakarrar mina lhawadith Alghariba" From al Faqih "Ali Ibn Abd Al-Salam Al-Toussouli" (IH1258) , In order for the study to be related to modern Algerian history, I relied on the particular of "al nawazil" to related the colonial presence on the land of Algeria. And I divided the research into an introduction, three topics, and a conclusion .The first research devoted it to talking about the concept of the "aljawahir annafissa" and its relationship to historical writing , And In the second topic I presented alfakih roussouly and his book "Aljawahir annafissa" , And the third topic, in which I spoke about the fakih and historical reading of "annawazil" related to the colonial presence on the land of Algeria, and in the conclusion I mentioned the tasks of the results with recommedations.

Keywords: historical writing; annawazil alfiqhiya ; French colonization; aljawahir annafissa ; Al-Toussouli .

مقدّمة :

تعدُّ كتب النّوازل والفتاوى من أهمّ المدوّنات الفقهيّة التي يمكن استخدامها في كتابة البحث التّاريخيّ، وذلك راجع لقوّة الصّلة بين الفقه الإسلاميّ والواقع العمليّ، ولقد حظيت كتب النّوازل الفقهيّة بجملة من الدّراسات البحثيّة التّاريخيّة، فَقَدَّمَتْ من خلالها العديدَ من الإفادات، وأزاحت الكثيرَ من الغموض والغبش عن بعض المشكلات التاريخية، وعلى هذا فإنّ مساءلةَ نصوص الفتاوى بغرض إعمالها والاستفادة منها تاريخيا مفيدٌ للتاريخ وللمؤرخ معا، واعتمادا على ما ذكرَ، فقد حاولتُ أن أقوم بإطلالة نموذجيّة لتاريخ الحقبة الاستعمارية من خلال كتب النوازل الفقهيّة المتزامنة في تدوينها مع الفترة المذكورة، فكان أن وقع الاختيار على نوازل «الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة» للقاضي والفقيه المالكيّ أبي الحسن عليّ بن عبد السلام التسوليّ (ت.1258هـ)، وذلك من خلال كتاب الجهاد منه، وبعد البحثِ في هذه الموسوعة النوازليّة اهتديت إلى نازلتين مهمّتين ووثيقتين تاريخيّتين نفيستين هما محلّ البحث والنّظر، ولنفاستهما وأهميّتهما، فقد طبعتا

المنارة للاستشارات

ملحقتين بكتاب «أجوبة التسوليّ عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد»، فالنّازلة الأولى هي تعليقُ التسوليّ على رسالة وفد أعيان مدينة تلمسان للسلطان المغربيّ سنةَ: (1246هـ)، وأمّا الثّانية فهيَ جواب التسوليّ المختصر سنة: (1252هـ) على مسائل الأمير عبد القادر الجزائريّ (ت.1300هـ) يجيبه فيها بإيجاز واختصارٍ في خصوص بعض النوازل المتعلقة بالوجود الاستعماري على أرض الجزائر، ورجاء الكشف عن كلّ هذا وغيره، فقد ترجمت لهذه الورقة البحثيّة بـ : "نوازل الجواهر النفيسة للتسوليّ (ت.1258هـ) مصدرا للكتابة التّاريخية الجزائريّة".

والبحثُ إذ يتعرّضُ لما ذكرَ؛ فإنّه يجيبُ عن الإشكالِ الآتي: ما هي النّوازلُ المتعلقة بالوجود الاستعماريّ على أرض الجزائر من خلال نوازل الجواهر النّفيسة؟ وما هي الموضوعات والإشكالات التي تناولتها؟ وما مدى أهميّتها فقهيّا؟ وما الفائدة العائدة منها على الدّرس التاريخيّ كتابةً وتوجيها وتصحيحا؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأيت الكتابةَ وفقَ الخطّة الآتية :

مقدّمة : وفيها أهميّة الموضوع وإشكاليته .

المبحث الأوّل : مفهوم فقه النوازل وعلاقته بالكتابة التّاريخية .

المبحث الثاني : التّعريف بالإمام التسوليّ وبكتابه الجواهر النّفيسة .

المبحث الثّالث : قراءة في النوازل المتعلّقة بالوجود الاستعماريّ من خلال نوازل الجواهر النفيسة .

خاتمة : وفيها عرض لأهمّ نتائج البحث المتوصّل إليها، مع بعض الاقتراحات .

المنارة للاستشارات

المبحث الأول : مفهوم فقه النوازل وعلاقته بالكتابة التّاريخيّة :

إنّ الدّراسةَ المسطرةَ لهذه الورقة البحثيّة تقتضي منّا إظهار معنى فقه النوازل، مع بيان صلة النوازل بالكتابة في الحقل التاريخيّ، ولذلك انتظم هذا المبحثُ في المطلبين التّاليين :

المطلب الأول : مفهوم فقه النوازل :

فقه النوازل مركب إضافيّ، ولذلك سيتمّ تعريفه باعتبار جُزئيه وعَلَميته، كما هو موضح في الآتي بيانه :

الفرع الأول : تعريف فقه النّوازل باعتبار مفرديه :

أولا : تعريف الفقه لغةً واصطلاحا :

1/ التّعريف اللغويّ للفقه : أصل واحد صحيح يدلُّ على إدراك الشيء، والعلم به والفهم له[1].

2/ التّعريف الاصطلاحيّ للفقه : كان الفقه في القرون الثّلاثة الأول يراد به أحكام الدّين كلّه، ثمّ خصّه المتأخرون بعد تمايز العلوم بقصره على أحكام المكلّفينَ، فلهذا قيل في تعريفه بهذا الاعتبار بأنّه : "العلم بالأحكام الشّرعيّة العمليّة المكتسبُ من أدلّتها التّفصيليّة"[2].

ثانيا : تعريف النوازل لغةً واصطلاحاً :

1/ تعريف النوازل لغةً : جمع نازلة، وهي شدائد الدّهر التي تنزل بالنّاس[3].

2/ تعريف النّوازل اصطلاحاً : لا نكاد نقف عند المتقدّمينَ على تعريف حديّ لمصطلح النّوازلِ، بيدَ أنّ مفهومه كان حاضرا لديهم، وقد استعملَ في سِياق الإشارة إلى الحديث عن الوقائع التي تتطلب اجتهادا ونظرا، وذلك عند فقد النصّ وغيابه، وقريبا من هذا المعنى قول البيهقيّ (ت.458هـ) : "...وكان أحد طرق الأخبار الأربعة وهي: كتاب الله، ثم سنة نبيه ﷺ، ثم القول لبعض أصحابه، ثم اجتماع الفقهاء، فإذا نزلت نازلة لم نجد فيها واحدة من هذه الأربعة الأخبار، فليس السبيل في الكلام في النازلة إلا اجتهاد الرأي"[4].

---

[1] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، (442/4)، مادّة: (فقه).

[2] الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، (21/1).

[3] انظر: الفراهيديُّ، العين، (367/7)، مادّة: (نزل).

[4] المدخل إلى السنن الكبرى، ص(109).

المنارة للاستشارات

وأمّا بالنسبة للمعاصرينَ، فقد عرفوا هذا المصطلح بتعريفات عديدة، ومن جملة المنتخب منها؛ القول بأنّها : "الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة"[1]، أو هيَ : "الوقائع المستجدّةُ الملحّة"[2].

الفرع الثّاني : تعريف فقه النوازل باعتباره لقبا :

وتأسيسا على ما سبق فيمكن تعريف فقه النوازل باعتباره عَلَما ولقبا بأنه: "معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة الملحة"[3].

وعلى هذا فالعلاقة بينَ علم الفقه وعلم فقه النّوازل هيَ العموم والخصوص الوجهيّ[4].

المطلب الثّاني : التّوظيف التّاريخيّ لمدونات النوازل الفقهيّة :

يتحدَّث هذا المطلب عن الاستعمال التاريخيّ لمادّة النوازل الفقهيّة عموما، وعن نوازل الجواهر النفيسة خصوصا، وتفصيل ذلك في الفرعين التاليين :

الفرع الأول : الاستعمال التاريخيّ لكتب النوازل الفقهية :

تكتسي كتب النوازل الفقهيّة أهميّةً كبرى في تغطيةِ المعلومات المتعلقة بالجانب التاريخي والاجتماعي، وهي من الأمور التي ظهرت مبكرا لدى المستشرقينَ في استثمارهم لمادّة النوازل تاريخيا واجتماعيا، فهذا المستشرق الألمانيّ جوزيف شاخت J.SCHACHT (ت.1969م) في دراسته لتطور القانون الإسلاميّ، يَعتبِر كتب النوازل منجما بكرا ومصدرا من مصادر الكتابات التاريخيّة والاجتماعية[5]، وهذا شيخ المؤرخين الجزائريّين أبو القاسم سعد الله (ت.1435ه) يشير إلى هذا الملحظ المهمّ بقوله عن كتاب «الدّرر المكنونة»: "ورغم أن يحيى المازوني لم يؤلف كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة لكي يكون كتابا سياسيا؛ فإنه ضمّنه من قضايا العصر وفتاوى الفقهاء أو النوازل ما يكشف عن الحياة السياسية والاقتصادية في الغرب الجزائري، وخصوصا ضعف الدولة الزيانية"[6]، وكذلك المؤرخ المغربيّ محمّد المنونيّ (ت.1420ه) يستعمل كتبَ النوازل وغيرها من كتب الفقه العمليّ في

[1] بكر بن عبد الله أبو زيد، فقه النوازل، (9/1).
[2] الجيزانيّ، فقه النوازل، (26/1).
[3] المصدر نفسه.
[4] انظر: الجيزانيّ، فقه النوازل، (26/1).
[5] انظر: مصطفى الصمديّ، فقه النوازل عند المالكيّة تاريخا ومنهجا، ص(32).
[6] تاريخ الجزائر الثقافي، (42/1).

المنارة للاستشارات

تسجيل الأحداث التاريخيّة من خلال كتابه «المصادر العربيّة لتاريخ المغرب»، ومما قاله عن «نوازل ابن رشدٍ الجدّ (ت.520هـ)» بأنّها: "تختزنُ كثيرا من الفقرات التي تتصل بحياة النّاس وشؤونهم اليومية بالأندلس والمغرب..."[1]، وعن «رسالة في تحقيق قبلة صلاة المغرب» لأبي عليّ المتيجيّ الجزائريّ يقول : "ينثر في رسالته إفادات عن المغرب أيام المرابطين..."[2].

وهكذا يستفيد المؤرخ من المدونات النوازليّة في الإحاطة بالجوانب التاريخيّة والاجتماعية من خلال ما تضمره من إشارات وإفادات .

والمهم في نظرنا هو ما يتضمّنه كتاب «الجواهر النّفيسة» من معلومات ثمينة باعتباره مصدرا للتّاريخ السياسيّ الجزائريّ في العصر الحديث، ولو بجانب يسير، وهذا ما سنشير إليه في الفرع الموالي .

الفرع الثّاني : التّوظيف التّاريخي لنوازل الجواهر النفيسة :

يشير أبو القاسم سعد الله في مواضع من كتابه «تاريخ الجزائر الثقافيّ» إلى جوابات التسوليّ على مسائل الأمير عبد القادر[3]، كما يشير إلى خصوص تدخل الجار المغربيّ في نجدة أهل تلمسان[4]، ولهذا ساقني البحث في كتاب الجهاد من نوازل «الجواهر النفيسة» بالبحث عن خصوص هذه المسائل والنوازل المتعلقة بالاستعمار الفرنسيّ، فكان أن وقفت على النازلتينِ معا، وهما :

النازلة الأولى : تعليقُ التسوليّ على رسالة وفد أعيان تلمسان للسلطان المغربيّ سنةَ : (1246هـ) .

1/ التعريف بالنازلة : في سنة (1246هـ)، وجّه أعيان مدينة تلمسانَ رسالةً بخصوص طلب النجدة، وذلك بحكم الجوار، وعلى إثر هذا تدخل سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام (ت.1276هـ) لبعض الوقت في تسيير مدينة تلمسان، وبسبب الضغوط التي واجهها من المستعمر الفرنسي تراجع عن حمايته للمنطقة بل وتحالف في النهاية مع الفرنسيين ضدّ الدّولة الجزائريّة الحديثة التي كانت بقيادة الأمير عبد القادر[5].

[1] المصادر العربيّة لتاريخ المغرب من الفتح الإسلاميّ إلى نهاية العصر الحديث، (32/1).
[2] المصدر نفسه.
[3] انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (78/7).
[4] انظر: المصدر نفسه، (514/5).
[5] انظر: المصدر نفسه.

المنارة للاستشارات

2/ تاريخ وقوع النازلة : تاريخ هذه النازلة في سنة (1246هـ/1830م)، كما هو مثبت في «الجواهر النفيسة» وفي «الاستقصا» وفي «المعيار الجديد»[1].

النازلة الثانية : الجواب المختصر عن مسائل الأمير عبد القادر سنة: (1252هـ) .

1/ التعريف بالنّازلة : في سنة (1252هـ) وجَّه الأمير عبد القادر للفقيه التسوليّ سؤالات فيما عنَّ له من نوازلَ، والتي يمكن أن نلخّصها إجمالا في النقاط التالية :

- في عقاب القبائل أخذا بجريرة جواسيسهم وتجارهم المتعاونين مع العدوّ الفرنسيّ.
- في حكم وكيفية عقاب المتخلف عن مدافعة العدو.
- في تحصيل الموارد المالية عند عجز الخزينة العمومية.
- في حكم البغاة وأموالهم.

2/ تاريخ وقوع النّازلة : تاريخ هذه النازلة في سنة (1252هـ/1836م) كما هو مثبت في «الجواهر النفيسة» وفي «تحفة الزائر» وفي «المعيار الجديد»[2].

وهذه المراسلة كانت عن طريق السّفير ابن عبد الله سقاط الذي أوصلها للسلطان المغربيّ[3].

[1] انظر: التسولي، الجواهر النفيسة، (ج1، ق 267)، والسلاوي، الاستقصا، (206/1)، والمهدي الوزاني، النوازل الجديدة الكبرى، (60/3).

[2] انظر: التسولي، الجواهر النفيسة، (ج1، ق276)، والأمير محمّد، تحفة الزائر، (206/1)، والمهدي الوزاني، النوازل الجديدة الكبرى، (63/3).

[3] انظر: الأمير محمّد، تحفة الزائر، (206/1).

المنارة للاستشارات

المبحث الثاني : التّعريف بالإمام التسوليّ وبكتابه الجواهر النّفيسة :

يتناول هذا المبحث الحديثَ عن التسوليّ وعن كتابه الجواهر النفيسة، كما سيأتي تفصيله:

المطلب الأول : نبذة موجزة عن حياة المؤلف :

خصّصت هذا المطلبَ للتّعريفِ بالفقيه التسوليّ، كما هو موضع في الآتي بيانه :

الفرع الأوّلُ : السّيرةُ الذاتية للإمام التسوليّ :

أولا : عمود نسبه : اسمه عليُّ بن عبد السلام بن عليّ، التُّسوليُّ أصلاً ومنشأ، الفاسيّ دارا وقرارا، المدعو: مُدِيدَش، وكنيته أبو الحسن[1].

ثانيا : مولده ونشأته : لم تذكر التَّرجماتُ التي عقدت للتسوليِّ شيئا ذا بال عن تاريخ ولادته، ولا أشارَ هو إلى ذلك، وإذا كان من العسيرِ تحديدُ تاريخ ولادته فمن المحتمل أن يكون وُلد بعد منتصف القرن الثّاني عشر على أساس أنَّه من المعمَّرين كما وصفه بذلك غير واحدٍ[2]، وأمّا عن نشأته فمن الواضح الجليّ أنّها كانت بقبيلة "تسول" التي يَنسب أصله ونشأته إليها بقوله: "التسوليّ أصلاً ومنشأ"[3]، ويبدو أنّه قد مرّ في بعض مراحل تعليمه الأوّليّ بكتاتيب قرية "القلعة" التي إليها يرجع أصل والدته، كما أشار إلى ذلك[4]، وبمدينة "مِكناس" أمضى بعضا من فترات تعليمه[5]، وبحاضرة فاس كان جلّ طلبه للعلم، وبها كان محلُّ داره وقراره وقضائه[6].

ثالثا : وفاته : توفِّيَ –رحمه الله- بفاس صبيحةَ يوم السّبتِ خامس عشر من شوال سنةَ 1258هـ[7].

---

[1] انظر: محمّد بن جعفر الكتانيّ، سلوة الأنفاس، (1/ 266).

[2] انظر: عبد الكريم الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، (244/1).

[3] البهجة في شرح التّحفة، (7/1).

[4] انظر: المصدر نفسه، (693/2).

[5] انظر: المصدر نفسه، (503/1).

[6] انظر: عبد الكبير الكتانيّ، زهر الآس، (244/1).

[7] انظر: عبد الكبير الكتانيّ، زهر الآس، (244/1).

المنارة للاستشارات

الفرع الثّاني : السيرة العلمية للتسولي :

أوّلا : لائحة شيوخه : درسَ التسوليُّ المواد العلميّة على الجلّة من علماء عصره، فكان من المبرزين، بيدَ أنّ كتبَ التّراجم لم تسعفنا بالحديثِ عن شيوخه إلا بذكر علَمين هما[1]: الشيخ حمدون بن الحاجّ (ت.1232ه)، والشيخ محمد بن إبراهيم الدكّاليّ الفاسيّ (ت:1241ه) .

ثانيا : تلاميذه : كانت حياة فقيهنا حافلةً بالتّدريسِ والفتوى والقضاء، وقد تخرج به جماعة من الفقهاء من أبرزهم : ابن حسون الوزانيّ (ت.1282ه)[2]، ولحسن كنبور الورياجليّ (ت.1283ه)[3]، وعبد القادر بن أبي القاسم العراقيّ (ت.1288ه)[4]، ومحمّد الغالي اللجائيّ (ت.1289ه)[5].

ثالثا : مؤلفاته وأثره العلميّ : أنتجَ التسوليّ عددا وافرا من المؤلفات العلمية الدقيقة التي تُعبر عن تلك الظرفية العلمية التي عايشها، كما تعبر عمّا وصلَ إليه التسوليّ من تفوق بين معاصريه، ومما وقفت عليه منها[6] :

1/ أجوبة التسوليّ عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ط)، ويعدّ هذا المؤلَّف من أكثر كتبه ذكرا في كتب التراجم والتواريخ .

2/ البهجة في شرح التّحفة (ط)، وهذا الكتاب من أوسع كتبه تداولا، حتى لا يكاد يعرف إلا به .

3/ تكملة الفتح الكامل في توضيح الشّامل لليازغيّ (ت:1231ه) توجد منه نسخة خطيّة بخزانة جامع القرويين بفاس تحت رقم: 460/2 مكتوبة بخطّ مغربيّ جميل في أربعة أجزاء.

4/ تقييدٌ على قول أبي الضياء خليل في نية الحالف .

5/ الجواهر النفيسة فيما يتكرّر من الحوادث الغريبة، وهو الكتاب الذي عليه مدارُ الحديث في المطلب الموالي .

6/ حاشية على شرح التاودي للاميّة الزقاق (ط).

7/ حاشية على شرح الزرقانيّ على مختصرِ خليلٍ (مفقود)، وقد أحال عليه في بعض كتبه[7].

---

[1] انظر: المصدر نفسه.

[2] انظر: ابن حسون الوزانيّ، زهرة الآس فيمن لقيته من الناس بوزان وفاس، مخطوط (ق/8).

[3] انظر: عبد السّلام بن محمّد الهواريّ، تنوير الصدور بالتعريف بسيدي الحاج لحسن گنبور، ص(77).

[4] انظر: العبّاس السّملاليّ، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، (465/8).

[5] انظر: عبد السلام اللجائيّ، المفاخر العليّة، (753/2).

[6] انظر: محمّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، وعبد السلام اللجائيّ، المفاخر العلية، (706/2).

[7] البهجة في شرح التّحفة، (9/2 - 126).

المنارة للاستشارات

المطلب الثّاني : التّعريف بكتاب الجواهر النّفيسة :

خصصت هذا المطلبَ للتعريف بالكتاب المذكور، فكان ما يلي :

الفرع الأوّل : عنوان الكتاب وصحّة نسبته إلى صاحبه ووصف نسخه الخطية :

أولا : عنوان الكتاب : وضعَ التسوليّ لكتابه عن النوازل عنوان «**الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة**»[1].

ثانيا : صحّة نسبة الكتاب إلى صاحبه: نسبةُ هذه النّوازلِ إلى الإمام التسوليّ، نسبة مقطوع بها لا يساورها أدنى شكّ، وممّا يشهدُ لذلكَ أنّ المصنِّفَ نسبها لنفسهِ في مقدّمةِ الكتابِ بقوله : "**وبعد : فيقول أفقر العبيد إلى مولاهُ، الرّاجي عفوه في سرّه ونجواهُ؛ عليُّ بن عبد السّلام بن عليّ المدعو : مديدش، التسوليُّ، السبراريُّ أصلاً ومنشأ، الفاسيُّ داراً**"[2]، وكذلك تصريحه باسمه في خاتمة بعضِ الفتاوى التي أجابَ فيها بنفسه بقوله: "**وكتب علي التسوليّ لطف الله به**"[3]، وكذا إحالته على الكتابِ المذكور في غير ما موضع من كتبه الأخرى بقوله : "نوازلنا"[4]، فضلا عن إطباق كتب التّراجم والفهارسِ على أنّ له مؤلّفا في النّوازل .

ثالثا : وصف النّسخ الخطيّة لنوازل التسوليّ :

اعتمدتُّ في هذه الدّراسةِ البحثية على ثلاثِ نسخٍ خطيّة هذا بيانُ وصفها بإيجاز :

النّسخة الأولى (ت) : وهي نسخة المكتبة الوطنيّة بتونس، وهي نسخة المصنّف، والتي تقع في أربعة أجزاء تحت الأرقام التّالية : **5354-5355-5356-5357**، وقد كانت من قبلُ ضمن خزائن مخطوطات المكتبة الصّادقيّة بالجامع الأعظم بتونس، وهي نسخة خالية من السّقط والتّخريم ومن تصحيف الكلمات، مسطرتها (31) في الغالب، ومقاسها (31×20)، وعليها وثيقةُ تملُّكٍ مهمّة حرّرها ابنُ المصنّف: خليل بن عليّ بن عبد السلام التسوليّ باسم العلامة محمّد الغالي اللجائيّ .

النّسخة الثّانية (ح) : وهيَ نسخة الخزانة الحسنيّة بالرباط تحت رقم: 12574، وقد كانت من قبلُ ضمن مخطوطات المكتبة الزيدانية، تقع في ستة أجزاء متوسطة الحجم، مسطرتها (25) في الغالب .

---

[1] الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة، (ج1،ق1).

[2] المصدر نفسه، (ج1، ق1).

[3] المصدر نفسه،(ج1،ق272).

[4] انظر على سبيل المثال: البهجة في شرح التّحفة، (2/123-191-192-198-353-404-565-559).

المنارة للاستشارات

النسخة الثّالثة (ع) : وهي نسخة مؤسسة علال الفاسي بالرباط، رقمها: 363ع، تقع في مجلد واحدٍ من بداية الكتاب إلى قسم الذّبائح والضحايا، عدد صفحاتها: 389، وقد كتبت بخط مغربي جيد، مسطرتها (26)، مقاسها : (23×18) .

الفرع الثّاني : الباعث على تأليف الكتاب ومضمونه ومنهجه :

أولا : الباعث على تأليف كتاب الجواهر النفيسة للإمام التسوليّ :

تعدّدت البواعثُ في تأليف الكتابِ عند مترجَمنا، فكان من أهمها :

1/ الجمع واللّملمة لفتاوى المتأخرينَ بغرض الحفاظ عليها من التّلف والضياع .

2/ ترتيب وتبويب المختلط من نوازل أبي فارس الزياتيّ (ت.**1055هـ**) الموسوم بالجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة .

3/ تسهيل الرجوع إلى فتاوى الأئمّة النوازليّين من المتقدّمين والمتأخرينَ .

ثانيا: مضمون الكتاب :

يضمُّ الكتاب بين دفّته فتاوى فحول الفقهاء من المتقدّمين والمتأخرين مرتبةً ومبوبةً على نسقِ مختصر خليل كما قال : "**رتبتها على ترتيب أبواب مختصر الشيخ خليل**"[1]، حتَّى جاءت هذه النَّوازل موسوعةً علمية تقاربُ كتابَ المعيار المعرب من حيث القيمةُ والحجم الكميّ للفتاوى، وعلى أيّ حالٍ فهذه النّوازل التي جمعها مترجَمُنا قد كان الحظّ الأوفر فيها لفقهاء الغرب الإسلاميّ خاصّة لطبقة الأعلام المتأخرينَ منهم، وذلكَ راجع للانتماء الجغرافيّ للمصنّف .

ثالثا : منهجُ المؤلّف في نوازله :

استهلَّ القاضي التسوليّ موسوعته النوازليّة بوضعِ جملةٍ من المقوّماتِ والإشاراتِ المنهجيّة التي ألزم نفسه باتّباعها والسيرورة على منوالها، وقد قمتُ بتسطير وتتبّع الأهمّ منها على النحو الآتي :

1/ ترتيب الفتاوى المستخرجة والمضافة على ترتيب أبواب المختصر الخليليّ .

2/ الاعتماد على التّرميز لبعض الأسماء من المفتين .

3/ عدم حذف المكرر من الفتاوى المزدوجة في موضوعها لتعلُّقها بأبواب متعدّدةٍ ممّا يستدعي تكرارها .

[1] الجواهر النفيسة، (ق1/ت).

المنارة للاستشارات

4/ التخلف عن النّظرِ التناسبيّ في ترتيب الفتاوى، ولعلّ ذلك راجع إلى تعدُّد وكثرة المراجع النوازلية لديه .

5/ ترك الردّ على من ارتكبَ الضعيفَ أو الشاذَّ في فتواه، لعدم سَعة الوقت، كما اعتذرَ بذلكَ .

المبحث الثّالث : قراءة في النوازل المتعلّقة بالوجود الاستعماريّ من خلال الجواهر النفيسة :

يتناول هذا المبحث الحديثَ عن النوازل المرتبطة بالوجود الفرنسي على أرض الجزائر، وذلك من خلال الإطلالة عليها فقهيا وتاريخيا :

المطلب الأول : تقييد التسوليّ على فتوى علماء تلمسان :

يتناول هذا المطلب الحديث عن الاستعمال الفقهي والتاريخيّ للنازلة المتعلقة برسالة أهل تلمسان للجار المغربيّ، وذلك على النحو التالي :

الفرع الأول : القراءة الفقهية للنازلة :

من خلال القراءةِ الفقهيّة لهذه الفتوى نستنتج أنّ استصدارَ الفتوى من خارج القطر الذي وقعت فيه النّازلة يغلب عليها المنع والتّحريم، كما هو الحال بالنسبة لفتوى علماء فاس في مثل هذه النازلة، بينما فتوى الفقيه المحليّ يغلب عليها طابع الإباحة والتّجويز، كما في فتوى الوفد التلمساني فيما هوَ واقع لديهم، ولئن كان التسوليّ غريبا عن محلّ النازلة، فلقد وافق فتوى علماء تلمسان في جواز قبول تسيير مدينة تلمسان، وواضح أنّ القضيّة المفتى بها تتعلّق بباب كبيرٍ في الفقه السياسي، وهي الإمارة وأحكامها .

وهكذا قام التسوليّ بتزكية هذا القرار الخطير الذي كان السلطان ينوي اتخاذه بداية كما هو واضح من خلال القرائن المحيطة بذلك[1]، وأرى هنا أن أبديَ ملاحظتين أركز فيهما على ما أراه مناسبا :

[1] انظر: محمّد المشرفي، الحلل البهية، (72/2).

المنارة للاستشارات

الملاحظة الأولى :

أنّ السلطان أخذَ بفتوى أهل تلمسان، وعدل عن فتوى حاضرة فاس التي لا تخدم مصالحه ومَيله إلى ضمِّ تلمسانَ[1]، وأنّ فتوى الفقيه التسوليّ جاءت مزكيّة لاختيار السلطانِ كما في نص النازلة، وإذا نظرنا إلى مصالح الطرف الآخر، أي: مصالح وفد تلمسان فالملاحظ أنّهم كانوا يهتمّون بالدّرجة الأولى بتأمين أنفسهم من الاستعمار الفرنسيّ الذي كان قريبا من أبواب مدينة تلمسان .

الملاحظة الثّانية :

نستشفّ من خلال هذه الواقعة التزام العلماء بالوفاء للأحكام الشرعيّة، فلم يروا من الجدوى التدخل في شؤون الجار، ذلك لأنّ البيعةَ في الشريعةِ ليست أخذا وإعطاءً، وإنّما تكليف بمهامّ منها: الدّفاع عن الرعية وحمايتها، وهذا ما عجزَ عنه السلطان المغربيّ، ولا أدلّ على ذلكَ انسحابه وتركه لمدينة تلمسان التي لم يقدر على تسييرها بسبب سوء تصرف الجيش بها[2] .

الفرع الثاني : القراءة التاريخية للنازلة :

طرحت هذه النازلة التي حفظتها لنا كتب النوازل بالعديد من الدلالات التاريخية، وعلى هذا فسنكتفي بالإشارة الموجزة إلى بعضها من خلال النقاط التالية :

أولا : نشير في الأول إلى تذمّر الوسط الجزائريّ من الوالي العثمانيّ وسطوته الظالمة على المجتمع الجزائريّ، وفي هذا الصّدد يسجل الوفد التلمسانيّ عدّة ظواهر وأحداث ذات دلالة قوية على ما نشير إليه بقولهم : "وعامل الجزائر إنّما كان متغلبا، وبالدين متلاعبا، فأهلكه الله بظلمه وتطاوله على عباد الله وجوره وفسقه..."[3]، ويكاد يكون هذا الأمر محلَّ إطباق بين المؤرخين الذين كتبوا عن تلك الفترة الزمنية[4].

---

[1] انظر: المصدر نفسه.

[2] انظر: الناصري، الاستقصا، (32/9).

[3] الجواهر النفيسة، (ج1، ق267).

[4] انظر: محمّد بن يوسف الزياني، دليل الحيران، ص(237).

المنارة للاستشارات

ثانيا : نلاحظ في هذه الفترة الانتقالية من الحكم العثمانيّ إلى الاستعمار الفرنسيّ اضطرابا مُربِكا في الوسط الجزائري، ومن وصف التسوليّ لهذا؛ قوله : "فدخلهم الرعب واختلّت الكلمة وغلب الفساد فيهم"[1]، وبسبب هذا الوضع الكارثيّ رام أهل تلمسان علاج الوضع القائم بطلب المساعدة من سلطان المغرب، إلا أن المصادر التاريخية تبين بأن الوجود المغربي زاد من حدّة التوتر[2].

ثالثا : تسمح لنا هذه النازلة المدروسة بالحديث عن تطور العلاقات الجزائريّة المغربيّة حكومةً وشعبا، فكانت أفضلَ ما تكون بين الطرفيين إلى أن خضع السلطان المغربيّ للمطالب الفرنسية، وهو الأمر الذي حفظته لنا رسالة الأمير عبد القادر للفقيه محمّد عليش المصري (ت.1299هـ) عند قوله : "جوابكم عما فعله بنا سلطان المغرب من المنكرات الشرعية التي لا تتوقع من مطلق الناس فضلا عن أعيانهم..."[3].

المطلب الثّاني : جواب التسوليّ على مسائل الأمير عبد القادر :

يتناول هذا المطلب الحديث عن الاستعمال الفقهي والتاريخي للنازلة المتعلقة بأسئلة الأمير عبد القادر فيما عرض له من نوازل جهاد الثغر الجزائري، وتفصيل هذا في الفرعين التاليين :

الفرع الأول : القراءة الفقهيّة للنازلة :

من خلال النّظرِ في هذه الواقعة نلحظ أنَّ فقيهنا قد اعتمد على منهج التّحقيق والتّدقيق في إعطاء حصيلة الجواب للمستفتي، فكانت أجوبته حاسمةً لكثير من القضايا، وذلك في إطار المذهب المالكيّ الذي كان سائدا وحاكما على القطر المغربيّ بأسره، ولذلك فلا غرابةَ في صلة الحاضر بالماضي وامتداد الماضي في الإجابة على أسئلة الحاضر فيما لا يؤثّر فيه عامل الزمان والمكان، فتنزيل التسوليّ لهذه السّوابق الفقهيّة المذهبيّة على هذا المحلِّ الذي يستدعي العملَ والفتوى بالأقوى فيه نوع من الحراسة الفقهية، وذلك ليكون في مأمن من تطبيقِ القول الضّعيفِ أو الشاذّ، فهذا الشاطبيُّ (ت.790هـ) على جلالة قدره وسَعة علمه يلتزم المشهورَ في فتاويهِ، وهو مَن هو في مراتب الاجتهاد والترقي، حيث يقول : "فحسبنا

[1] الجواهر النفيسة، (ج1، ق267).

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ص(56).

[3] فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، (387/1).

المنارة للاستشارات

فهم أقوال العلماء والفتوى بالمشهور منها، وليتنا ننجو مع ذلكَ رأسا برأسٍ، لا لنا ولا علينا"[1].

الفرع الثّاني : القراءة التاريخية للنازلة :

لقد حاولنا من خلال دراستنا لهذه النازلة سبل الاستفادة منها تاريخيا، ومن أجل ذلك فقد خلُصت هذه الدّراسة إلى استخراج المادّة التاريخية الآتي بيانها :

أولا/ ارتكزت هذه النّازلة في جلّها على أهمّ وسيلةٍ من وسائل قيام الدّول والحكومات، وهي الخزينة العموميّة، ودورها في بعث المقاومة ضدَّ المستعمر الفرنسيّ، وضمان القدرة على مواجهة احتياجاتِ الدّولة الجزائريّة الحديثة، ولذلك كان من موارد الخزينة التي تمَّ مناقشتها فقهيّا ضمن هذه الواقعة :

1/ أخذ الضّرائب أو المعونة من الرعيّة، وذلك بقصد دفع صائلة العدوِّ الفرنسيِّ عنها، وهي من المسائل التي تفرضها الضرورة، فعندئذٍ يوظَّف هذا المورد على قدر الحاجة، كما هو منصوص عليه فقهيّا، وعلى هذا فالأزمة الماليّة الخانقة لدى دولة الأمير ارتبط ظهورها بسنوات قليلة بعد قيام دولته.

2/ أخذ الزكاة من الرعية، ولو قهرا من مانعيها .

3/ مراقبة التّعاملات التجاريَّة، وذلك بمنع تنقّل البضائع والسِّلع للعدوِّ الفرنسيّ، وهذا من باب الحدِّ من سوء استغلال الوظيفة التجاريّة .

ثانيا/ تعدُّ هذه النّازلة انعكاسا صادقا للأحداث الواقعة زمنَ الاستعمار الفرنسيّ، وبالخصوص في جانبها الأمنيّ، ولذلك كان من أهمّ المسائل التي تناولتها هذه الواقعة بخصوص هذا الجانب :

1/ ضرورة إلزام القبائل بحراسةِ جواسيسها، وضبط أحوال تجارتها، وذلك بغرض فرض السيطرة على الزعامات المحليّة، وإخضاعها للسلطة المتمثلة في دولة الأمير عبد القادر .

2/ إلزاميّة التّجنيد الإجباريّ للذّود عن حِمى الوطنِ وقهر المحتلّ الغاصب .

3/ ضرورة قتال البغاة المتمردين عن سلطة الأمير النافذة، وذلك في إطار المحافظة على تماسك الشعب الجزائريّ، وحمايته من الاستنزاف الداخليّ .

[1] الونشريسيّ، المعيار المعرب، (103/11).

المنارة للاستشارات

خاتمة :

وختاما؛ فإنّ هذا الموضوع يطرح أمامنا القضية المتعلقة باستخدام مادة النوازل والفتاوى في الدرس التاريخي، وقد قدَّم البحث نازلتين مرتبطتين بالوجود الاستعماري، وذلك من خلال نوازل الجواهر النفيسة للفقيه والقاضي أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي، ومن خلال ما مضى فإنّنا نلمس في الأخير النتائج والمقترحات التالية :

أولا: كشف البحث عن أهميّة المدونات النوازلية في تغطية المعلومات المتعلقة بالجانب التاريخي والاجتماعيّ .

ثانيا: كشف التقصي عن النوازل المرتبطة بالوجود الاستعماري من خلال كتاب الجواهر النفيسة عن نازلتين مهمتين هما: رسالة وفد أعيان تلمسان للسلطان المغربيّ في طلب تسيير المدينة، وذلك سنة (1246هـ/1830م)، وجواب التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر فيما عنّ له من نوازل ومسائل سنةَ (1252هـ/1836م) .

ثالثا : من أهمّ ما رصده البحث من دلالات تاريخية من خلال رسالة أهل تلمسان: تذمر الوسط الجزائريّ من الوالي العثماني وعجزه عن حماية الوطن، كما كشفَ عن العلاقات الودية بين الجزائر والمغرب، وذلك قبل تعكر صفوها .

رابعا : من أهم ما رصده البحث من دلالات تاريخية من خلال رسالة الأمير للفقيه التسولي: العجز الماديّ في الخزينة العمومية وبحثها عن سبل توسيع مواردها كفرض الضرائب وأخذ الزكوات من مانعيها، ولو قهرا من أصحابها، كما تم ملاحظة الاضطراب الأمني داخليا من خلال تمرد بعض القبائل وتعاونها مع العدو الفرنسي .

خامسا : يقترح البحث توسيع دائرة البحث في التاريخ الجزائري من خلال مدونات النوازل الفقهيّة المتزامنة في تدوينها مع الاستعمار الفرنسي .

وبهذه النتائج المتوصّل إليها يكون قد نَجَزَ مقدار عرضنا من هذه الدّراسة، والحمد لله أولا وآخرا.

المنارة للاستشارات

قائمة المراجع :

1) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، د .ط.، بيروت- لبنان، د .ت.

2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007م.

3) أبو بكر البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمّد ضياء الرحمن الأعظميّ، د.ط.، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلاميّ، د. ت .

4) أحمد بن حسون الوزاني، زهرة الآس فيمن لقيته من الناس بوزان وفاس، مخطوط المكتبة الوطنية المغربيّة بالرباط، رقم: (830).

5) أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء - المغرب، دار الكتاب، 1418هـ

6) أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج: جماعة من الفقهاء، المغرب، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية، 1401هـ

7) بكر بن عبد الله أبو زيد، فقه النوازل، ط.1، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، 1416هـ

8) حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمّد العربي الزبيريّ، رغاية – الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، 2006م.

9) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرائيّ، د.ط.، دار ومكتبةُ الهلال، د. ت .

10) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه : عبد الوهاب ابن منصور، ط.2، الرباط – المغرب، المطبعة الملكية، 1413هـ

11) عبد السلام بن أحمد اللجائيّ، المفاخر العليّة والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية، تحقيق: محمّد الدريديّ، ط.1، الرباط – المغرب، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1439هـ

12) عبد السّلام بن محمّد الهواريّ، تنوير الصدور بالتعريف بسيدي الحاج لحسن گنبور، تحقيق: محمّد التمسمانيّ، ط.1، البحرين، مكتبة نظام يعقوب الخاصة، 1434هـ

13) عبد الكريم الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق: علي الكتانيُّ، ط.1، الدّار البيضاء-المغرب، منشورات النجاح، 1422هـ

14) علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التّحفة، ضبط وتصحيح: محمّد شاهين،ط.1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1418هـ

15) محمّد المشرفي، الحلل البهيّة في ملوك الدّولة العليّة وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، تحقيق: إدريس بوهليلة، ط.1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، 2005م.

16) محمّد المنوني، المصادر العربيّة لتاريخ المغرب من الفتح الإسلاميّ إلى نهاية العصر الحديث، الرباط – المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1404هـ/ 1983م.

17) محمّد باشا بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الإسكندرية – مصر، المطبعة التجارية، 1903م.

18) محمّد بن جعفر الكتانيّ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبرَ من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكتاني وحمزة الكتاني ومحمّد حمزة الكتانيّ، الدّار البيضاء-المغرب، دار الثقافة، د ت .

المنارة للاستشارات

19) محمّد بن حسين الجيزانيُّ، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، ط.2، دار ابن الجوزيّ، 2006م.

20) محمّد بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد القادر عبد اللّه العاني، ط.2، الكويت، دار الصّفوة، 1413هـ.

21) محمّد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، ط.1، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013م.

22) محمّد عليش المصري، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، دار المعرفة، د ت.

23) محمّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق : عبد المجيد خياليّ، ط.1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلميّة، 1424هـ.

24) مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكيّة تاريخا ومنهجا، ط.1، الرياض – السعودية، مكتبة الرشد، 2007م.

25) المهدي الوزاني، النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، مقابلة وتصحيح: عمر بن عباد، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418هـ.

المنارة للاستشارات